العَطِيَّةُ الهَنِيَّةَ

والوصية المرضية والجذوة المضيئة

تأليف

سيدنا وبركتنا

الحبيب علي بن حسن بن عبد الله العطاس

نفعنا الله به آمين

١١٢١-١١٧٢هـ

اعتنى بها حفيده

أحمد بن عمر بن طالب العطاس

الدين النصيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده ، أرحم الراحمين الذي يرحم الرحماء من عباده في أقطار بلاده ، وصلى الله على نبيه السيد الفصيح ، ذي القلب النصيح ، والوجه الصبيح ، الذي هو النصيحة لله وله ولكتاب الله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين بشهادة رب العالمين ، المنزهين عن كل مايشين ، المخصوصين بأعلى مراتب اليقين ، المفضلين بالصدق والتمكين المكين ، وصحبه الهادين المهتدين ، المقيمين معالم الدين ، الكبراء الوزراء الناصحين ، الفقراء ﴿ **المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾[الآيات ٨-١٠ الحشر] وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فيا أيها الأخ الصالح ؛ الأود الناصح ، فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله وصية رب العالمين ، في كتابه المبين ، للأولين والآخرين ؛ وهي عبارة عن اجتناب مانهى الله عنه وفعل ما أمر الله به ، وشرح ذلك واضح من الكتاب العزيز والسنة الغراء وأقوال السلف والخلف فليس تحتاج بعد العيان إلى بيان .

ثم الذي أوصيك به وأحرضك عليه أن تتخلق بالرحمة التامة لخلق الله عامة ، من آدمي وغيره ، لاسيما المسلمين ، فعاملهم بالشفقة الكاملة حتى من يعاديك ويحسدك ، فإن الإنسان ضعيف ؛ فاشهد حقيقة ضعفه وضعف ضعفه وارحمه ، ولوكان في حال عداوته لك ، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، من لايَرحم لايُرحم ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء :

ارحم عباد الله يرحمك الـذي عم الورى إفضاله ونوالــــه
فالراحمون لهم نصيب وافـــر من رحمة الرحمن جل جلالـه

وعامل جميع الخلق بأن تكف عنهم شرك ، فإن الله يكف عنك شرهم ، فقد روي في الأثر عن سيد البشر : **من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره منه** . وانو الخير لجميع المسلمين ، فإنه قد ورد في الحديث فيه : **نية المرء خير من عمله** . وورد أيضا : **إنما الأعمال بالنيات** . الحديث . ولاتضمر شرا ، ولاتستبطن غلاوغشا لأحد من المؤمنين . فإن من كانت هذه صفته وطهرت

طويته وصفا باطنه عن الغل والغش والحقد على المسلمين فيكون أعبد أهل الأرض ، ويكون نومه عبادة ، بهذا جاءت الأخبار عن السيد المختار .

ثم أتلو عليك ماتلاه الرحمن على لسان صديقه لقمان فيما أوصى به ابنه حيث يقول ﴿ **يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [الآية ١٣لقمان] ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أوفي السموات أوفي الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير * يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولاتصعر خدك للناس ولاتمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [الآيات ١٦-١٩ لقمان] وكن من عباد الرحمن ﴿ **الذين يمشون هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما** ﴾[الآيات ٦٣-٦٨ الفرقان] ﴿ **والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين**

إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾[الآيات ٧٢ - ٧٤ الفرقان]

والحذر كل الحذر من الكلام الفاحش ، فإن الكلام الفاحش لاينقص إلا من قاله لامن قيل فيه ولوكان فيه . كذلك الكلام الطيب لايشرف إلا قائله كما قال تعالى ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ [الآية ٢٦ النور] فلاتجيب إلا بما يزينك ، ولاتكافي إلا بما يشرفك . والحذر ثم الحذر من العجلة بدفع العدو بغير ما أمر الله به من قوله ﴿ **ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ [الآية ٣٤ فصلت] ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ [الآية ٣٦ فصلت] ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الآية ١٩٩ الأعراف] فإن قلت إذا فعلت ذلك ربما يزداد العدو جرءاة علي ؛ فاعلم أن الله أعلم منك بعواقب الأمور وهو بعباده خبير بصير . قال الشاعر :

بمكارم الأخلاق كن متخلـــقا ليفوح مسك ثنائك العطر الشذي

وانفع صديقك إن أردت بقاءه   وادفع عدوك بالتي فإذا الذي

وكن مع الله كأن لاخلق ، وكن مع الخلق كأن لانفس ، وازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس . ولاتحزن ولاتشجن ولاتهتم من الإعراض منهم عنك ؛ والإعتراض عليك في المقاصد الحسنة التي تقصد بها وجه الله الكريم ؛ مما يعود نفعه على الخاصة أوالكافة أوالعامة ، فإنهم في الغالب يعرضون عنك ، ويعترضون عليك ، وذلك بواسطة الشيطان ينفرهم عما يعود صلاحه إليهم ، لأنه يكره تآلف المؤمنين وتناصرهم ؛ واجتماع كلمتهم .

والحذر من الضجر أوتقول لك نفسك كيف تجتهد فيما ينفعهم مع العقوق الشنيع وكفران الصنيع والخلاف الفظيع ، فإن ذلك مما جبل الإنسان عليه ؛ حتى في معاملة الحق جل وعلا ، وهو الذي خلقه ورزقه ، ألم تسمع إلى قوله تعالى ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾ [الآية ١٧ عبس] ﴿ وقوله تعالى ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ [الآية ٦ العاديات]

وتدبر وتفهم ما قد أبتلي به الأنبياء من إنكار أتباعهم عليهم ، مثل قصص آدم مع بنيه ، وشيث مع قومه ، ونوح إذ قال لقومه

﴿ **ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم** ﴾ [الآية ٧١ يونس] وهود وصالح مع قومهما ، وإبراهيم مع النمروذ وأبيه ، ويعقوب مع أخيه ، ويوسف مع إخوته ، وأيوب وما ابتلي به ، وموسى مع بني إسرائيل بعد مانجوا من البحر ، وبعد ما سمعوا كلام الحق حيث قالوا ﴿ **أرنا الله جهرة** ﴾ وغير ذلك من الوقائع له معهم مما لايحصى . وعيسى مع أصحاب المائدة وغيرهم ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه ، ثم مع أصحابه كيوم الحديبية ويوم القسمة حتى قال : رحم الله أخي موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر . ثم ماجرى لأبي بكر رضي الله عنه بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الصحابة خاصة ، ثم مع أهل الردة . ثم ماجرى للصحابة رضي الله عنهم من مقاساة أجلاف الناس على كثرة اختلاف المقاصد والأجناس ، ثم التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا ، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [الآية ٢١ الأحزاب] وغيرها .

وقد رأيت الفقيه العلامة عمر بن عبد الله بامخرمه أشار إلى الجملة من ذلك في قصيدة واحدة وهي التي يقول في أولها :

ياضنيني ضنا حالي ولا اطمع بحيله   حيلة العبد فيما قدر الله قليله

فتدبرها وتفهمها ترشد إن شاء الله .

وعليك بالصبر على جفاء الجافين ، وإحفاء المحافين ، لاسيما القرابة ثم الأصهار ثم الجار ثم المعامل ثم المعارف ثم صاحب البلد ، فإنك ترى من هؤلاء في غالب الأحوال مالايسرك ، فافعل معهم مالايضرك ، بل يزيد في رفعة قدرك ؛ خصوصا العشيرة ، والأقرب فالأقرب من ثلمة النسب ، فإن استطعت المزاورة دون المجاورة فافعل ، فبهذا ورد الحديث .

وورد أيضا " **اجتنبوا مجالس العشيرة** " فإن بليت بالمزاحمة دون المراحمة فعليك ثم عليك بالصبر ، وهو الحلم عن الزلات ، والعفو عن العثرات ، ولزوم المداراة دون المماراة والمباراة :

مادمت حيا فدار الناس كلــــهم   فإنما أنت في دار المدارة

من يدري دارى ومن لم يدر سوف يرى   عما قليل قرينا للندامات

وإذا بلغك عن إنسان أمر ونقل إليك منه قول مما يؤذيك أو ينقصك ، فلا تبادر إلى المكافأة وصدور المجافاة من غير تثبت ؛ فإن الغالب على غالب الناس في هذا الزمان التزوير والبهتان ،

ونقل ماشان دون مازان ، وقد قال الملك الديان يخاطب أهل الإيمان ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ [الآية ٦ الحجرات]

وعليك بمجانبة الرياء والكبر والعُجب وسوء الظن بالناس والحسد والوسواس ، فإن هذه الأخلاق شيطانية .

أما الرياء ؛ فأن تعمل عملا لأجل الخلق فهو شرك بغير شك ، وناهيك به حماقة أن تشرك مع الله من لاينفع ولايضر ، مع أنه لو علم أنك تقصده بهذا العمل سقطت من عينه .

وأما الكبر ؛ فيمنعك منه أن تتفكر من أين أصلك ؛ وعلى أي حال أنت ، وإلى أي شيء تصير ، أليس أولك نطفة مذرة ، وبين جنبيك العذرة ، ومصيرك جيفة قذرة .

أما العُجب والحسد ؛ فهما خلقان من خلق إبليس لعنه الله تعالى ومن تبعه فيهما ، فإنه لما أعجبته نفسه استكبر وكفر ، وقال ﴿ **أنا خير منه** ﴾ ثم إنه لما رأى ما أنعم الله به على آدم عليه السلام غاظه ذلك ؛ فحسده عليه ، فلم ينل إلا الطرد والبعد من الله .

وأما آدم ؛ فحصل له التقريب والإجتباء والإصطفاء ، فافهم تسلم وتغنم ، ولاتكرهن ما من الله به من فضله على من يشاء من

خلقه ، واعرف قدرك ، ولاتتعد طورك ، وحقق وتحقق أنك عبد ضعيف ؛ لا تملك لنفسك ولالغيرك نفعا ولاضرا ، ولاموتا ولاحياة ولانشورا ، فإذا علمت ذلك سلمت وسلمت ، وتدبر قوله تعالى ﴿ **مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾ [الآية ٧٢ فاطر] وقوله ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من نشاء بغير حساب** ﴾ [الآيات [٢٦-٢٧ آل عمرن]

والحذر كل الحذر من الكذب ، فإن الكاذب ملعون بنص الكتاب . ومن أطلق لسانه بتعاطي الكذب سقطت عدالته ، وردت مقالته ، ونقص مقداره ، وكذبت أخباره ، وازدراه الناس ، وهان بين سائر الأجناس ، فالحذر من الكذب بالكلية .

واجتنب ما يوجب النقصان والخلية لاتتعاطاه جدا ولاهزلا ، ولايقظة ولامناما ؛ بأن تقول : رأيت كذا ولم تره ، ففي الحديث " **من كذب على عينه بما لم تره كلف أن يعقد بين شعيرتين من نار ، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك ؛ وهو الرصاص المذاب** " الحديث .

ولاتخبر عن الكذابين ؛ فإن ذلك ينسب إليك ، ويعود ذمه عليك . وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم " **كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع** " وإذا أردت مصداق ماقلت فاسمع مايقوله الناس في المجالس إذا قيل لهم : قال فلان كذا ، فإن كان من أهل الصدق لم تسمع من يطعن عليه ، وإن كان من أهل الكذب لم يقبل ماقال ولو كان صادقا . فاختر لنفسك أي الطرفين شيئت .

وبالجملة فلزوم الصمت هو الأولى والأحق على كل حال ، قال عيسى عليه السلام " **إذا كان الكلام من فضة كان الصمت من ذهب** " وقال الشاعر :

يموت الفتى من عـثرة بلسانه   وليس يخاف الموت من عثرة الرجـل
فعثرته في القول تذهب رأسه   وعثرته بالرجل تبرأ على مهـل

وقال غيره :

احفظ لسانك أيها الإنسـان   لايلدغنك إنه ثعـــــبان
كم في المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال آخر :

إن اللسان صغير جرمه ولـــه   جرم كبير كما قد جاء في المثل
فكم ندمت على ما كنت قلت بـه   وما ندمت على ما لم أكن أقل

وفي الحديث **" وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "** وكان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنعه الكلام ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، يشير إلى لسانه . ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **" فلان قتل شهيدا ، هنيئا له الجنة "** أوكما قيل ، قال صلى الله عليه وآله وسلم لذلك القائل " **مايدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه ويبخل بمالايغنيه** " وفي الحديث الصحيح الذي قيل أنه قاعدة من قواعد الإسلام " **من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه** "

وإذا أردت سفرا قريبا أوبعيدا فاكتمه وباكر به ، وإن اتفق في يوم الإثنين أوالخميس فهو حسن ، وإلا فأيام الله كلها مباركة ، واقرأ قبل أن تخرج من البيت آية الكرسي ودعاء الكرب المشهور[1] ثم اكتب الحروف التي هي أوائل سور القرآن واحملها معك فإن لها سرا عظيما في الجلب والدفع . وإذا أردت الركوب في البحر فاكتبها على خزف حصاة وألقها في البحر قبل الركوب ترى عجبا من التيسير وهي :

[1] دعاء الكرب ؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : لاإله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لاإله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم . متفق عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم ، (ألم ـ الله) المص ، الر ، الر، الر ، المر ، الر ، الر ، كهيعص ، طه ، طسم ، طس ، طسم ، الم ، الم ، الم ، الم ، يس ، ص ، حم ، حم ، حمعسق ، حم ، حم ، حم ، حم ، ق ، ن والقلم وما يسطرون . انتهت .

ثم إذا خرجت فاكثر من قرآءة سورة قريش . وليكن من شأنك ؛ وما يعتني به جنانك ؛ وتعمل فيه أركانك ؛ وتقصده بكلية إنسانك ؛ وتعض عليه بنواجذ أسنانك ؛ وتملأ به زوايا مكانك ؛ وتجد فيه بغاية إمكانك ، طلب العلم الشريف قاصدا بذلك وجه الله الكريم ، والتفقه في دين الله ، لالغرض آخر من الحظوظ الفانية ، والمقاصد الدنية ، فإن العلماء ورثة الأنبياء كما ورد ، قال تعالى ﴿ **شهد الله أنه لآ إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم** ﴾ [الآية١٨آل عمران] ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتواالعلم درجات** ﴾ [الآية ١١المائدة] ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ [الآية٩ الزمر]وقال صلى الله عليه وآله وسلم " **من تفقه في الدين كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب** " وقال صلى الله عليه وآله وسلم " **إن الله تعالى تكفل لطالب العلم برزقه** "

وقال سيدنا عبد الله الحداد بعد إيراد هذا الحديث : وهذا تكفل خاص بعد التكفل العام الذي تكفل الله به لكل دابة في الأرض ، فيكون معناه زيادة التيسير ودفع المؤنة والكلفة في طلب الرزق وحصوله ، والله أعلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم " **من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة** "

*****

واعلم أن العلم بحر متلاطم لا آخر له ، قال ابن لقمان لأبيه : من يحيط بكل العلم ؟ قال : كل الناس ، هذا فيما أوتوا ، وقد قال الله تعالى ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [الآية ٨٥ الإسراء] فينبغي لك أن تقدم الأهم فالأهم ، فتبتدي أولا بأخذ المختصرات ؛ مثل : مختصر الشيخ أبي شجاع المعروف ، مع القرآءة في كتاب بداية الهداية لحجة الإسلام الغزالي ، وكتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي وكتاب المنهاج له وشرحه ، على حسب ما أمكن وساعد عليه الزمن ، وكتاب الرسالة للشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري فإنها عمدة في تحقيق الطريق ، وكذلك مصنفات سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد ؛ وقد أحسن في تهذيبها وأجاد

، لاسيما كتاب النصائح الدينية له ، والعوارف للشيخ عمر بن محمد السهروردي ، وإحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي .

وتأخذ في علوم القرآن وآلات معرفة معانيه بعد الإجتهاد في حفظه للفضل الوارد في ذلك ، ولو لم يكن إلا قوله تعالى ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ [الآية ٤٩ العنكبوت] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم " **من حفظ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لايوحى إليه** " لكفى ، وقال عليه الصلاة والسلام " **لوكان هذا القرآن في إهاب مامسته النار** " وفي مناجاة موسى في وصف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم " **أناجيلهم في صدورهم وغيرهم يقرأ من المصاحف** " . وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لوتصدق إنسان بصدقة للقراء صرفت إلى الحفاظ ، ولو تصدق بصدقة لأعقل الناس صرفت إلى الزهاد في الدنيا .

******

ومن أهم مانشير به عليك من التفاسير للقرآن : تفسير الإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي ؛ فإنه عمدة في تحقيق ذلك ، وقد كان سادتنا وسلفنا آل أبي علوي يحرضون على القرآءة فيه جدا ؛ وهو جدير بذلك كما قيل : عينه فرارة وشاهده اصفراره .

وليكن لك مطلب فيما أمكن أن تطلب من كتب الأدب ؛ كالنحو واللغة وغيرها ، ولاتكرهن المطالعة في كتاب مقامات الحريري بعد العبور فيها على شيخ يبين لك معانيها ، فإنها مما اعتنى بها السلف . قال الشيخ أحمد بن عجيل : مقامات الحريري طبق الحلوى ؛ وقد جربنا النفع والإنتفاع بها . وكتاب الملحة له ، فقد قيل إنه أودع سر كتبه فيها ، ولها شروح : من أنفعها شرح الشيخ دعسين ، وكتاب الجزرية وشرحها ، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للشيخ جمال الدين عبد الله ابن يوسف الأنصاري الحنبلي فإنه كتاب كامل ؛ وسفر شامل ؛ وبحر بعيد الساحل ، وكنز في بابه فاضل ؛ وعلم محقق حاصل .

ومن كتب السير : الإكتفاء للكلاعي ، وسيرة ابن سيد الناس فإنهما سبب التقدم وقد أجادا فيهما .

ومن كتب التاريخ : تاريخ الإمام ابي محمد عبد الله ابن أسعد بن علي اليافعي المسمى (مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، في معرفة حوادث الزمان ، وتقلب حال الإنسان بتصريف الملك الديان ، الذي كل يوم هو في شان) وكتاب الخميس في سيرة أنفس نفيس للإمام أبي الحسن البكري ، وكتاب طبقات الخواص للشرجي .

ومن كتب الأحاديث : الصحيحان ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والجامع الصغير للسيوطي ، وكتاب تيسير الوصول إلى علم الأصول للديبعي اليمني .

ومن كتب معرفة حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : كتاب الشفاء للقاضي عِياض ، ومن كتب معرفة حقوق أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم خصوصا آل أبي علوي منهم : كتاب العقد النبوي للشيخ شيخ بن عبد الله العيدروس ، وكتاب الجوهر الشفاف للخطيب ، وكتاب المشرع الروي للشلي ، وغير ذلك من الكتب المصنفة في ذلك ، مثل شرح العينية للحبيب أحمد بن زين الحبشي .

ولتكن لك معرفة بقصائد مشهورة ، بالخير مذكورة ، تداولها السلف والخلف ، منها القصيدة الهمزية للشيخ البوصيري والبردة له ، وشرحاهما للشيخ ابن حجر والمحلي ، والقصيدة التي مطلعها : إلى متى وانت باللذات مشغول ، للبوصيري أيضا ؛ عارض بها بانت سعاد ، والمنفرجة المشهورة ؛ وخصوصا مع حصول الجدب وانقطاع المطر ، فإنها عظيمة التأثير في حصول الفرج عاجلا . وكذلك القصيدة المسماة بأم الفرج للشيخ : محمد باصلعه الزعبي التي مطلعها :

سهرت وهاجي بالمدامع مقلتي

فإنه قد توسل فيها بجميع أنبياء الله الكرام ، والملائكة عليهم السلام ، والأولياء والعلماء الأعلام ، وأسماء الله وكتبه العظام .

واستغفار أبي مدين ، وعقيدة الإمام اليافعي ، وديوان الشيخ أبي بكر بن عبد الله العدني ، وديوان الفقيه عمر بن الفارض ، والسودي ، فهؤلاء أهل الذوق والشوق ، وكلامهم يخرج من صميم قلوبهم ، وماخرج من القلب صادف القلب ، وكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه .

******

وليكن لك في أخذ هذه العلوم وسلوك سبيلها شيخ محقق ، عارف متضلع ، ذوفهم وعلم وحكمة وأدب وحسب ونسب ، وبصيرة منيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، يرجع في علمه إلى شيخ أوشيوخ لهم سلسلة متصلة يرتفع سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن اتفق شريف علوي حسيني سني فهو الكمال . قال عليه الصلاة والسلام " **عالم قريش يملأ طباق الأرض علما** " الحديث المشهور . وتعلم منه لأنك بذلك تصير له إبنا فيكون لك أبا ، ويحصل الإتصال الروحي ألذي أدرك سلمان ، وجرى عليه السلف والخلف . فإذا لقيت ذلك الشيخ فينبغي لك أن تلقي قيادك إليه ، وتعتمد في مهمات أمورك عليه ، وتخضع نفسك

بالإنقياد لديه ، وتجعله واسطة بينك وبين الله ، وتأخذ لك منه إجازة في رواية العلوم الشرعية جملة ، وتطلب منه لباس الخرقة الصوفية ، وتلقين كلمة : **لآ إله إلا الله** ، والمصافحة المعروفة عند أهل الطريق ، فإنه بذلك تنتظم في سلك أهل تلك السلسلة ، ويكون لك مالهم ، وعليك ماعليهم إن شاء الله تعالى . وتعامله بالأدب بحيث لاتصدر إلا عن رأيه في كل أمر وعلى كل حال وإن دق ، وتعتمد ماقاله وإن شق . وتعتمد في معرفة ماله عليك من الحقوق ماذكره حجة الإسلام في البداية والإحياء ، ومحيي الدين في التبيان وغيره ، فإن المحصول من العلم والفتح والنور ؛ أعني الكشف للحجب على قدر الأدب مع الشيخ ، وعلى قدر مايكون كبر مقداره عندك يكون لك ذلك المقدار عند الله من غير شك .

وعلى الجملة فينبغي لك أن تقطع بأن ماعلى وجه الأرض أفضل ولا أكمل ولا أنبل ولا أجل منه ، وأن ترى جميع مراتب المشايخ دون مرتبته وإن جلوا ، وأن لاتعترض عليه في أمر من الأمور لاظاهر ولاباطنا ؛ إن شيئت الظفر بجميع المطالب ، ورقي أعلى المراتب .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا . وكان يقبل قدم شيخه زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي الأنصاري ، ويأخذ بركاب بغلته ، وكان الأمين والمأمون

أبنا هارون يتبادران نعلي شيخهما الكسائي أيهما يلبسه إياهما ، فيقول لهما عند ذلك : لكل واحد واحدة . وقد روي في الحديث " **آباؤك ثلاثة : أبوك الذي ولدك ، والذي زوجك ابنته ، والذي علمك وهو أفضلهم .**

واعلم أن الشيخ المقتدى به في التعليم والإهتداء إلى سبيل الغفور الرحيم ؛ يعتمد في تمكين الإتصال ، وحصول القبول والإقبال منه في كل حال ، على نية الطالب ومقصد الراغب ، لاينفك منه إلا إذا وقع ذلك من الطالب ، فأما منه فلا يحصل الإنفكاك أبدا ولو أراده . مثال ذلك : الإمام في الصلاة فإنه لو قال إماما لجماعة دون فلان فإنها لاتبطل قدوته به ، وأما المقتدي فمتى نوى المفارقة انقطعت القدوة بأول خاطر . انتهى .

*****

ثم إذا تحققت بما يسره الله لك من العلم الشريف ؛ فينبغي لك أن تعمل بما استطعت من ذلك مستعينا بالله تعالى ؛ وترتب أوقاتك وتشتغل في كل وقت بورد على حسب ما أورده الحجة في البداية وترتيب الأوراد في الأوقات .

وليكن لك قيام من آخر الليل ولو قبل الفجر .

ولازم الدعاء الوارد بعد ركعتي الفجر ، ثم مايسره الله من الأوراد بعد صلاة الفجر .

وليكن من ذلك " **ياقيوم فلايفوت شيء من علمه ولايؤده** " سبعا وعشرين مرة ، فإنه مجرب للحفظ .

وتقول أيضا : **يامبدع البدائع لم يبغ في إنشائها عونا من خلقه "** تسعا وتسعين مرة فيه منافع كثيرة دينية ودنيوية .

ولاتترك صلاة الضحى فإن فعلها من سيما الصالحين .

وقل بعد صلاة الظهر : لاإله إلا الله الملك الحق المبين . ولو أن تقتصر على مائة .

واقرأ بعد صلاة العصر حزب البحر[1] المشهور بالبركة والنور . الله الله في حفظه وترتيبه في ذلك الوقت .

---

[1] حزب البحر للشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن عبدالله بن عبدالحميد المغربي الشاذلي اليمني ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وهو دعاء مشهور . وهذا نصه :

اللَّهُمَّ يا عليُّ يا عظيمُ يا حليمُ يا عليمُ * أنت ربي وعلمُكَ حسبي * فنعمَ الربُّ ربي ونعمَ الحسْبُ حَسبي * تنصرُ من تشاء وأنت العزيزُ الرحيمُ * نسألُكَ العِصمةَ في الحركاتِ والسَّكنَاتِ والكلماتِ والإراداتِ والخَطَراتِ من الشكوكِ والظُّنونِ * والأوهام الساترةِ للقلوبِ عن مُطالعةِ الغيوب * فقدِ * ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا

*وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا *فَثَبِّتنا وانصرنا وسَخِّرْ لنا هذا البحرَ كما سخَّرْتَ البحرَ لموسى * وسخَّرْتَ النارَ لإبراهيمَ * وسخَّرْتَ الجبال والحديد لداودَ * وسخَّرت الرِّيحَ والشياطينَ والجنَّ لسليمانَ * وسخِّر لنا كلَّ بحرٍ هو لك في الأرض و السماء والملكِ والملكوتِ * وبحرَ الدنيا وبحرَ الآخرةِ * وسخِّرْ لنا كلَّ شيء يا من بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ*

*كهيعص *(٣) * أنصرنا فإنك خير الناصرين * وافتح لنا فإنك خيرُ الفاتحين * واغفر لنا فإنك خير الغافرين * وارحمْنا فإنك خيرُ الراحمين * وارزقنا فإنك خيرُ الرازقين * واهدِنا ونجّنا من القومِ الظالمين * وهبْ لنا ريحاً طيّبةً كما هي في علمك * وانشرها علينا من خزائِنِ رحمتِك * واحْمِلنا بها حمل الكرامةِ مع السلامةِ والعافيةِ في الدين والدنيا والآخرةِ * *إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* اللهم يسِّر لنا أمورنا مع الراحةِ لقلوبِنَا وأبدانِنا * والسلامةِ والعافيةِ في ديننا ودُنْيانا * وكن لنا صاحباً في سفرِنا * وخليفةً في أهلنا * واطْمِس على وجُوهِ أعدائِنَا وامسخْهُم على مكانَتِهم فلا يستطيعون المُضِي ولا المجيء إلينا*

*وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ *يس *وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ *إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ *لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ *لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ *وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ *(شاهَت الوجوهُ)(٣) * * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * طس * حم عسق * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * حم حم حم حم حم حم حم * حُمَّ الأمرُ وجاء النصرُ فعلينا لا يُنصرون *حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ *بِسم الله بابُنا * *تَبارك *حيطانُنا * *يس* سقفُنا * *كهيعص *كِفايتُنا * * حم عسق *حمايتنا فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *(٣) سِترُ العرشِ مسبولٌ علينا * وعينُ اللهِ ناظرةٌ إلينا * بحول الله لا يقدرُ علينا* *وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ * * *فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * (٣) * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ* (٣) *حَسْبِي اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *

ثم أحيي مابين العشائين بقرآءة الحزب المشهور في المسجد .

ثم إذا صليت العشاء فينبغي لك أن لاتترك قرآءة راتب سيدنا عمر الذي أوله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

ولاتترك ورد الفاتحة الذي رتبه الغزالي من قرآئتها بعد الفرائض وهي : إحدى وعشرين بعد صلاة الصبح ، وثنتان وعشرون بعد صلاة الظهر ، وثلاث وعشرون بعد صلاة العصر ، وأربع وعشرون بعد صلاة المغرب ، وعشر بعد صلاة العشاء فيكون المجموع مائة .

وليكن مما تتخذه ذكرا من الأسماء التي تورثك حفظ العلوم وفهم معانيها والنطق بغرائبها ، هذان الإسمان " **المبدي الخالق** "

---

(٣) * (بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) (٣) (أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق) (٣) (ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم) (٣) * وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * انتهى .

وأقل ماتذكر بهما كل يوم مائة مرة ، ولاحد لأكثره ، وذلك أن تقول " **يامبدي ياخالق** " .

ومن الأسماء التي تورثك استجابة الدعاء " **ياسميع يابصير** " تذكر بهما كل يوم مائة مرة وهي أدنى ماتقتصر عليه .

ومن الحروف القرآنية التي تقولها عند مواجهة الظلمة لكفاية شرورهم (**كهيعص حمعسق**) تعقد على الأولى أصابع اليد اليمنى وفي الثانية أصابع الشمال .

ومن الآيات المحصلة لذلك أيضا ﴿ **وقل رب أعوذبك من همزات الشياطين * وأعوذبك رب أن يحضرون** ﴾ [الآيات ٩٧-٩٨ المؤمنون]

وليكن من أذكارك الملتزمة (**يا أرحم الراحمين**) فإن بعض مشايخنا كان لايفتر عن الذكر بهذا الذكر ، كذلك (**ياحي ياقيوم**) فإنه اسم الله الأعظم على ما قطع به الإمام محيي الدين النووي رحمه الله ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر يقول **" ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث .**

وإذا ضلت عليك ضالة فقل : **ياجامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد ، اجمع علي ضالتي إنك لاتخلف الميعاد .** تكررها (**مائة وست عشر مرة**) فإنها مجربة لرد الضائع .

وقال بعض العلماء : من ضاع له شيء فقال **(ياحفيظ)** مائة وتسع عشر مرة من غير زيادة ولانقصان ، ثم يقول ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أوفي السموات أوفي الأرض يأت بها الله** ﴾ [الآية ١٦ لقمان] مائة وتسع عشر مرة ، رد الله عليه ضالته وحفظها عليه ، مجرب صحيح .

******

ثم إذا أردت النوم فاقرأ ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيابه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ [١٩٠ آل عمران] فإن فيها منافع كثيرة ، منها : أن تعينك على حفظ القرآن ، وأنك لاتنسى ماحفظته من ذلك ، فلازمها كلما أردت النوم في أي وقت كان بليل أونهار .

وليكن من وردك عند النوم : سبحان الله ، والحمدلله ، والله أكبر . ثلاثا وثلاثين مرة ، وتقول بعدها : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة . فلازم هذا ؛ والحذر من أن تتركه أوتغفل عنه ، أويغلبك عليه النوم ، فإن فيه من المنافع الكريمة ، والفوائد العظيمة

منافع وفوائد لاتحصى . وقل أيضا : بسم الله الرحمن الرحيم إحدى وعشرين مرة عند النوم فإنها أمان من السرق والحرق والغرق .

ثم إذا استيقظت فأت بالأذكار الواردة في ذلك ، فإن ملازمتها مما يورث حسن الخاتمة والموت على الشهادة ؛ التي هي عنوان السعادة . ومنها أن تقرأ ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ إلى آخره

*****

وليكن من آدابك في أخذ العلم إخلاص النية في طلبه لله والدار الآخرة ، لا لغرض آخر من توسط بين الناس للحكومات ، فإن في ذلك الخطر العظيم ، ولو لم يكن إلا قوله تعالى ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشون ولاتشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [الآية ٤٤ المائدة] لكفى .

روى الإمام الطبراني في معجمه الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال **" علماء هذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فذلك يصلي عليه طير السماء ؛ وحيتان البحر ، ودواب الأرض ، والكرام الكاتبون ، يقدم على**

الله سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ، ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عبادالله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا ، فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ، وينادي مناد على رءوس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا ، واشترى به ثمنا قليلا ، ثم يعذب حتى يفرغ الحساب .

وقوله عليه الصلاة والسلام " **من ولي القضاء فقد ذبح بسكين** " رواه أبوداود عن أبي هريرة .

قال الشاعر وهو بعض القضاة الورعين ، رحمه الله ونفع به آمين :

وليت القضاء وليت القضا ء لم يك شيئا توليته
فقد ساقني للقضاء القضا ولم أك قدما تمنيته

ومحل الذم والإثم فيه إنما هو مع طلبه وتمنيه ، أما إذا تعين ووجب وطلب منك القيام به أهل الحل والعقد وعرفوا فيك الآهلية لذلك وعرفت أنت من نفسك القدرة على القيام به لوجه الله مع القوة على مواجهة الظالم والقوي والغني ، والذي تحتشمه بالحق فلا باس .

قال صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الصحابة " **لاتطلب الإمارة فإنك إن طلبتها وُكلت إليها ، وإن طلبت لها أعنت عليها** "

قال تعالى ﴿ **وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين** ﴾ [الآية ٤٢ المائدة] وقال صلى الله عليه وآله وسلم " **إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور** " قال الشاعر :

وليت الحكم خمسا هن خمس　　　لعمري والصبا في عنفوان
فلم تضع الأعادي قـدر شاني　　　ولاقالوا فلان قد رشـاني

والحق واضح ، ومصباح الهدى يشتعل ، والعاقبة للمتقين ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [الآية ١٢٨ الحجر]

ثم ليكن من أدبك أخذ العلم عن أهله وبذله لأهله ، والإستفادة والإفادة مع التواضع والتخشع ، ومعرفة القدر ، وإعارة الكتب للطالبين ؛ لاسيما ماحصلته أوملكته .

أما الكتب الموقوفة فالحذر من حبسها ومنعها إلا بقدر الإنتفاع ، فإن الواقف لم يقصد إلا ذلك ، وقد جاء في الحديث " **من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار** "

وقال عيسى عليه السلام " لاتضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم ؛ كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء " وقال أيضا " من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ، إن للحكمة حقا ، وإن لها أهلا فاعط كل ذي حق حقه "

وقد جاء أيضا : مثل الذي يمنع الإنتفاع بالعلم ولاينتفع هو به ؛ مثل الحصاة التي تكون على الماء لاتشرب ولاتترك الناس يشربون . وقد ابتلي بهذه البلية جماعة من أهل هذا الزمان فتراهم يأتيهم طالب العلم ؛ وربما كان من ابناء الرسول يطلب منهم الكتب الموقوفة على المسلمين عامة فيمنعونه ، ويضنون بها عليه ، فليت شعري ماذا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله إذا لقوه ، وقد امتنعوا على ولده أوعلى بعض أمته من الإنتفاع بكتب شريعته المملوكة فضلا عن الموقوفة إن كانوا يؤمنون بلقائه عند الموت ، فالحمد لله الذي لم يأمنهم إلا على الكتب الظاهرة التي توجد عند غيرهم ، ولم يجعل أرزاق عباده بأيديهم ، ولو كان ذلك لقتلوهم بالجوع ، والحمد لله الذي لم يأمنهم على أسرار الولاية وأنوارها ، ولو كان ذلك لم يقربوا إلى الله أحدا .

وقد طلبت مرة من بعض الناس كتابا فجعل يواعدني بإعارته كمواعيد عرقوب أخاه بنخلته حتى يئست منه ، ثم توفي بعد ذلك بقليل ، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

لكتب العلم كن دأبا معـــيرا ولاتبخل فإن البخل عـار
ولاتحقد فإن الحـــقد شؤم به قوم إلى الخذلان صاروا
فنصا (**لن تنالوا البر حتى**) كفى بالنص ياصاح اعتبـار

وقال إمامنا الشافعي نفع الله به ورضي عنه :

العلم يمنع أهله   أن يمنعوه أهله

فإذا رأيت من فتح الله عليه بعلم أوعبادة أومعرفة أوجاه أووجاهة أومال ، فليكن من شأنك الفرح بما ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده إن كنت مؤمنا ، ففي الحديث " **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** " فافهم ، فإن كراهيتك لذلك تدل على أن نيتك حبس فضل الله عن عباده وهو غير ممكن ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ [الآية ٢١ الإسراء]

*****

وإذا حضرت مدرس علم فيه من يقرأ فلا تبادر بالمذاكرة بما تحفظه من شرح الكلمات ، فإن ذلك يشينك ويدل على عدم أدبك ، إلا أن يتوجه إليك الكلام من الشيخ الحاضر . وإذا كان القارئ يقرأ وعندك كتاب فلا تنظر فيه ؛ فإن ذلك مما يدل على عدم المبالاة منك ، وإذا كان القارئ يقرأ في كتاب فلا تنظر إلى الورقة التي بيده ولاتأخذ من كتابه ورقة .

وإذا دخلت منزلا فيه كتب فلا تأخذ منها كتابا إلا أن يعطيك صاحب المنزل ؛ فإنه يستدل بذلك على قلة أدبك ، فالحذر الحذر .

وإذا كان إنسان يكتب ورقة وأنت حاضر فاصرف نظرك عنه ، فإنك إن لم تفعل ذلك قيل لك ذلك .

وإذا أتيت إلى بيت من البيوت وأردت الدخول فاستأذن ، فإن أذن لك فادخل ﴿ **وإن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم** ﴾ [الآية ٢٨ النور]

وإذا دخلت منزلا فغض نظرك عن عورات المنزل وعن المحارم ولو أنهن جلوس عندك ، فإن ذلك مما يمكن بعدم إحداد النظر . قال الله تعالى ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ [الآية ٣٠ النور]

وإذا كنت في مجلس مع جماعة فلاتستغرق الكلام كله بل ماوجب ثم ماتوجه إليك ، وإذا كان إنسان يتكلم فلا تعارضه بكلامك بل أصبر حتى يتم كلامه .

وإذا كان جماعة في محضر ومنهم من يتحدث فانصت لما يقول إن كان المكان متقاربا والكلام يسمع ، فإن الرجال يتحدث منهم الواحد بعد الواحد والنساء كل واحدة تهذف من قبلها لاتعقل واحدة ماتقول الأخرى .

وإذا بلغك عن إنسان فضيلة فتحدث بها واثن عليه بما يستحقه ؛ ولو كان من أعدائك ، فإن ثناء الرجل على أقرانه يدل على غزارة عقله ، وكمال دينه . وإن بلغك القبيح فلا تتحدث به

أبدا، فإن من أخلاق الله تعالى إظهار الجميل وستر القبيح . وإياك وسوء الظن واتهام من لايتهم ، فإن الله يقول ﴿ **اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[الآية ١٢ الحجرات] وقال تعالى ﴿ **وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا** ﴾[الآية ١٢ الفتح] وقال عليه الصلاة والسلام " **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** " وبعض سلفنا آل أبي علوي قال : الطبع السفلي مولع بسوء الظن .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق مايعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عـــــدوه وصدق مايعتاده من توهم

ولابأس بالحزم والتثبت في كل أمر ، وعدم السكون إلى من لم تختبر حاله حتى تجربه وتختبره ، فإن هذا من سيما السلف . قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **لست بالخب ولايغدرني الخب** .

والحذر كل الحذر من الحقد والإصرار على العداوة وعدم قبول العذر . قال سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه " من استغضب ولم يغضب فهو حمار ، ومن استرضي ولم يرض فهو شيطان . وقال أيضا : الإنبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والإنقباض عنهم مكسبة للعداوة ؛ فكن بين المنقبض والمنبسط . انتهى .

فكن من الأمور في أوساطها لاتتكلف ولاتتخلف ، قال الشاعر :

ولاتغل في شي من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

******

ولاتواجه الإنسان بما يكره من الحديث من قبلك ، أوتبليغ من غيرك ؛ ولو أن تعطى على ذلك أجرة فلاتقبلها ولو كنت مضطرا إليها ، فإن كسر خاطر مؤمن أشد من هدم الكعبة سبعين مرة ، وإذا كان المبلغ فيه سرور لمؤمن فاسع إليه ولو حبوا ، فإن أكابر الصحابة مثل أبي بكر وعمر كانوا إذا أنزلت آية فيها بشارة لمؤمن يستبقون أيهم يبشره ؛ لما يعلمون مافي ذلك من الثواب فيرغبون فيه . وفي الحديث " **من صادف من أخيه شهوة غفر له ، ومن سر أخاه المؤمن فقد سرالله تعالى** " وروي أيضا : **من أدخل على مؤمن سرورا خلق الله من ذلك السرور سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة** "

******

وتجنب المجالس التي تحصل فيها الخصومات ، والمجالس التي يغتاب الناس فيها ، والمجالس المتهمة ، فإن التزام الحزامة زمام السلامة ، فكن من أهل هذا الزمان على أشد الحذر ؛ فإنهم

يقطعون فيما يشينك بالظن ، ويكذبون فيما يشينك بالعيان ، يفرحون بعثراتك ليلمزوك بألسنتهم ، ويكرهون إحسانك لئلا يسمعوا من يثني عليك به .

والحذر أن تغتر بالثناء منهم عليك إذا حضروا لديك ، أوتسكن إليهم في حال إكرامهم لك ، فإن الداني والذي لايعرف ولايعلم شيئا لايسلم لك مايشاهد منك من المكارم ، ولاتلمهم على ذلك ، فإن هذه سنة الله في خلقه ؛ قد ابتلى بها الأنبياء والصحابة والأولياء . قال الله تعالى ﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذي أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [الآية ١٨٨ آل عمران]

وقال تعالى ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا** ﴾ [الآية ٢٠ الفرقان] قال الإمام أبوحنيفة رضي الله عنه :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم — قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي ومابهم — ومات أكثرهم غيظا من الحسد

******

وعليك بالإنصاف من نفسك ما أمكن ؛ وعدم الإنتصاف منهم ، وتغافل عما تسمع من كلامهم فيك ، ولاتشغل نفسك بالجوابات والمحاجة ؛ فإن ذلك لايزيدهم إلا تماديا فيما يقولون ،

ولايستمعون لما تقوله أنت من المحاجة عن نفسك وإن كنت صادقا ، ولايفرحون بظهور الحق على لسانك ، بل اسمع واسكن .

والحذر من المجاوبة إلا بالتي هي أحسن ، فإن أتيت إلى المخاصمة والمخاطمة والمعاداة فإن ذلك هو الذي أرادوه منك وخاصموك لأجله ، فحينئذ يطول عليك الحال ، ويذهب دينك ومروءتك ، وهذا هو مراد الشيطان ، وقد قال أهل الفضل : تسعة أعشار السلامة في التغافل :

وتغافل عن أمـــور إنه　　　لم يفز بالحمد إلا من غفل

****

وعليك بكتمان الأسرار ، ولاتتحدث عند الناس إلا بما تريد ظهوره ؛ خصوصا مايضرك إذا ظهر ، فإنهم يسارعون إلى افشائه إلا القليل لاسيما النساء :

إذا المرء أفشى سره بلســـانه　　　ولام عليه غيره فهو أحمـــق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه　　　فصدر الذي يفشي له السر أضيق

ومما ينبغي كتمانه الفقر والعداوة والطاعة والسفر إلا عن ضرورة ، ولاتكره حسد الحاسدين فإنه لايكون إلا على دنيا أودين ، وهو لازم من خصه الله بشيء من هذين كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيـــلة　　　طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت　　　ماكان يعرف قط نشر العـود

وقلت في هذا المعنى على نسق هذا المبنى :

مامن نبي أوولي كامـــــــــل نشرت له الرايات إلا عودي

وتعوذ بالله من شرهم ، واستعن بالله وتوكل عليه وقل

﴿ حسبي الله لا إله إلا هوعليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ [الآية ١٢٩ التوبة] (سبع مرات) فإنك إذا قلت ذلك كفاك الله كل شر ؛ إن قلته صادقا أوكاذبا ، وقل أعوذ برب الفلق إلى آخر السورة .

وإذا طلبت من أحد حاجة فقضاها لك فهو أخ منقاد فاشكره واثن عليه بخير ، فإن من لايشكر الناس لايشكرالله ، وإذا لم يقضها فلا تتخذه عدوا فتشتمه وتغتابه ، وقل : لم يقدر الله ذلك .

******

وإذا رأيت إنسانا في معصية أوفي غفلة أومجلس سوء أوفي مصيبة أوفي بلية في دينه أوبدنه أودنياه ؛ فلاتنكر عليه ، ولاتشمت به ، لأنك لاتدري ماذا يكون عاقبة أمره ، وماذا يختم له به ، فإن الأعمال بخواتيمها ، فينبعي لك حينئذ أن تقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، فإن في هذا القول أمانا من كل مصيبة وفتنة في الدين ، وشفاء من كل مرض ومصيبة تكون في البدن ولو كان ماكان ، فافهم

والزم ، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

*****

وإذا رأيت إنسانا يظهر لك الصداقة ويقابلك بالقول الطيب ؛ ويسر لك العداوة ، ويغتابك في الغيبة ، فلاتهتك هذا الغطاء ، وتواجهه بالجفاء ، فقد أجلك من يعصيك مستترا وأظهر له أنك لاتعلم مما يقول إلا ما يواجهك به . وبهذا الخلق العظيم تعامل جميع من تعاشر من أهل وولد ، وقريب وحبيب :

أقبل ظواهرهم وكل سرائرهم إلى المهيمن إن بروا وإن فجروا

ولاتطمع أن يكون لك في السر والعلانية سواء ، فإن هذا مما لايكون ، ولاتحزن ممن تتقرب أنت إليه بالود والملاطفة ولين القول وطلاقة الوجه ، وهو يتباعد منك قلبا وقالبا ، فإن ذلك في الغالب مما لايجدي ؛ إذا الصفاة لاتندي . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " **الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف** " أي ماتوافق هناك في عالم الأرواح ائتلف هنا في الدنيا وحصلت بينهما المودة والقربة ، والأنس والصحبة ، وماتناكر منها هناك في عالم الأرواح حصلت بينهما المباعدة والقطيعة والوحشة ، فلا تتعب نفسك ، ولاتضرب في حديد بارد ، ولاتطلب مالست له بواجد ، لاسيما إن خالطه داء

الحسد الذي إذا خالط الدين فسد ؛ وأوهن الجسد ، فإن ذلك الإنسان لايقبل في مصالحتك صرفا ولاعدلا ، ولايصافيك جدا ولاهزلا . قال الشاعر :

كل العداوة لاترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

ولاتعجب مما يقع عليك من الأذى منهم والمقاطعة والعداوة والمجانبة ، وخصوصا المعاصر فإنه لايناصر ، وهو الذي يدعي أنه مثلك وخير منك ، ونسيبك الذي ترجع أنت وهو إلى أب ، فإن هؤلاء في الغالب لاترى منهم إلا ما يغمك ويكدر عليك ؛ إلا من اتقى الله وخاف وعيده ، وقصد بطاعته وعلمه وعمله وجه الله الكريم ؛ وقليل ماهم . وإنما تتعجب إذا رأيت منهم الإكرام والمواساة والزيارة والمحبة .

قال الجنيد رحمه الله تعالى ونفعنا به في الدارين : أصلت أصلا لا أشتغل بعده بما يرد علي من المشغلات من جميع ما في الكون ، أن الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة ، ومن لازمها ولازم أهلها أن يتلقوني بكل ما أكره ؛ فإن تلقوني بشي مما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول . انتهى .

*****

وبالجملة فعليك بأدب واحد جامع لجميع الآداب ، وهو أن تجتنب كل ماتكره من غيرك ؛ وتفعل كل ماتستحسنه منهم ، وتشتغل بعيوب نفسك عن عيوب الناس .

وقد قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ فقال : ما أدبني أحد ؛ رأيت جهل الجاهل فجانبته . هذا والمؤمن مرآة المؤمن ، وتلازم تلاوة كتاب الله العزيز فإن فيه من الثواب ما لايقدر قدره إلا الذي أنزله .

*****

ولوذهبنا نشرح جميع ما بلغنا في ذلك لطال فضلا عما لم يبلغنا ، وكذلك أكثر من ذكر الله وهو التهليل والتسبيح ، ومن الدعاء والإستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واستشعار قرب الأجل مع تقصير الأمل ، والإستعداد للموت ؛ وذلك بالتوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب ، وترد ماتقدر على رده من مظالم الناس خصوصا الأموال التي تتركها بعدك للورثة يأكلونها وأنت تعذب عليها فلاتقدر على الإتيان بشيء منها ، وهذا هو الفوت الذي هو أشد من الموت .

****

واعلم أن الدنيا غير باقية ، وأنت فيها غير خالد ، وتفكر فيما فعلته أمس من خير وغيره ، وفيما فعلته اليوم أول النهار ، وفيما

فعلته في أول مجلسك هذا ، أليس قد ذهبت لذته وبقيت تبعته ، فإن كان خيرا فسوف يأتيك ثوابه ، وإن كان شرا فحسابه وعقابه :

إذا كنت في أمر فكن فيه محسنا   فعما قليل أنت ماض وتاركـــه
وقد درجت أيام أرباب دولـة   وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

فتب إلى الله من خطيئتك ، وبادر إلى كتاب وصيتك ، واجعل حسن الرجاء في الله مطيتك ، وكن حسن الظن بالله تعالى بأن يكرمك بحسن الخاتمة ، وأن يهون عليك سكرات الموت ، وأن يهون عليك ضغطة القبر ، وأن يثبتك بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة ، وأن يبعثك من الآمنين من أهوال يوم القيامة ، وأن ينجيك من كربات الموقف ، وأن يجيزك على الصراط كالبرق الخاطف ، وأن يسقيك من حوض محمد صلى الله عليه وآله وسلم شربة لاتظمأ بعدها أبدا ، وأن يدخلك الجنة بغير حساب مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فإنك إذا أحسنت الظن بالله تعالى ورجوت أن يفعل لك ذلك فعله ، وماذلك على الله بعزيز ، قال تعالى ﴿ **قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [الآية ٥٣ الزمر] وقال صلى الله عليه وآله

وسلم " **لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى** " ودخل على رجل وهو في النزع فقال **" كيف تجدك ؟ فقال : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي "** فقال صلى الله عليه وآله وسلم **" ماجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وأمنه مما يخاف "** **وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "** يقول الله عز وجل : **أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء "**

حسن ظنونك بالمولى ترى البشرى فالرب عند ظنون العبد فلتدر

جاء الحديث بذا فاسمع إلى الذكرى والبس من الصبر سربالا لدى الضجر

واسأل من الله كشف البؤس والضرر

فيالها من كرامة ما أفضلها ، وعطية ما أجزلها ، ومنة ما أشملها ، ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [الآية ٥٧ يونس] وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمت

قال العبد الفقير إلى الله ورحمته ، المقر بذنبه ، المعترف بخطيئته ، أبو الحسن : علي بن الحسن بن عبد الله بن الحسين بن عمر بن عبد الرحمن ابن عقيل العطاس باعلوي ، عفاالله عنه وعن والديه ومحبيه ، فرعت من إملاء هذه الوصية عشية الثلاثاء

لسبع عشر من شهر محرم الحرام سنة خمس وخمسين ومائة وألف من الهجرة ، وسميتها : **(العطية الهنية ، والوصية المرضية)** لذوي القلوب الصافية النقية ، تقبلها الله ونفع بها ، وجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .